تفسير سورة آل عمران 190-194

تفسير سورة آل عمران 190–194

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)}

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} إيجادهما من العدم على غير مثال سابق {وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} طولاً وقصرًا {لَآيَاتٍ} لدلائل وبراهين عظيمة على وحدانية الله {لِأُولِي الْأَلْبَابِ} لأصحاب العقول السليمة، ثم وصف أصحاب العقول السليمة فقال:

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)}

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} مضطجعين، أي الذين يداومون على ذكر الله في جميع الأحوال؛ لأن الإنسان قلما يخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث، مثله في سورة النساء { فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ} [النساء: 103] {وَيَتَفَكَّرُونَ {ويتدبرون } فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وما أبدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الله ويعرفوا أن لها صانعاً قادراً مدبراً حكيماً عليماً، قال أهل العلم: التفكر: هو أن الإنسان يُعمل فكره في الأمر، حتى يصل فيه إلى نتيجة، وقد أمر الله تعالى به أي بالتفكر وحث عليه في كتابه، لما يتوصل إليه الإنسان به من المطالب العالية والإيمان واليقين {رَبَّنَا} أي: ويقولون ربنا {مَا خَلَقْتَ هَذَا} الخلق {بَاطِلًا} بالباطل، أي: عبثاً وهزلاً؛ بل خلقته لأمر عظيم {سُبْحَانَكَ {تنزيه لله تبارك وتعالى عن العبث وجميع النقائص {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} فاصرِف عنا عذاب النار.

{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192)}

{رَبَّنَا {ويقولون يا ربنا {إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} أي: أهنته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحته {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} وما لمن خالف أمر الله فعصاه؛ من ذي نصرة له ينصره من الله فيدفع عنه عقابه أو ينقذه من عذابه.

{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193){

{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم {يُنَادِي لِلْإِيمَانِ} إلى الإيمان {أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ} أي يدعو الناس إلى الإيمان بالله {فَآمَنَّا} فأجبنا دعوته وآمنا بما جاء به وصدقناه واتبعناه، فبإيماننا واتباعنا نبيك {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} استرها علينا {وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا} وامحها ولا تؤاخذنا بها {وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} أي: في جملة المطيعين الصالحين.

{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194)}

{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ} أي: على ألسنة رسلك {وَلَا تُخْزِنَا} ولا تعذبنا ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا {يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} فإنك لا تُخْلف وعدًا وَعَدْتَ به عبادك.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتُحَدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِه سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِلأُولِي الأَلْبَابِ}، ثُمَّ »قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً«، ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ، »فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ.«

وفي رواية عندهما: وَهُوَ يَقُولُ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 190] فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ.